بغداد في عهد حسن باشا
(١٧٠٤ – ١٧٢٤م)
Baghdad in the era of Hassan pasha

(1704-1724)

إعداد

تساهيل باقر كامل البوزيارة

إشراف

أ.د/ خلف عبد العظيم الميري
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية البنات جامعة عين شمس

أ.د/ عايدة السيد سليمة
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب جامعة عين شمس

مقدمة

تتناول الدراسة الظروف التى أدت إلى سيطرة المماليك على مقاليد الحكم في العراق وعلى المجتمع العراقي وهم غرباء عنه ،وكيف نجح حسن باشا في ترسيخ أسس النظام المملوكي في العراق، فضلاً عن تأثيرهما بشكل مباشر على مختلف أوجه الحياة في العراق، ودوره المؤثر في رسم معظم أحداث المنطقة خلال حكمه وسنلقي الضوء على الظروف التي هيأت لاستعانة حسن باشا بطائفة من المماليك التي سيطرت على مجمل الأوضاع في العراق.

حسن باشا ومماليك العراق

وُلد حسن باشا عام ١٦٥٧م في قترين من مناطق ألودم إيلي (تركيا الحالية) من أبوين عثمانيين هما مصطفى بك وفاطمة خاتون ، وكان والده سباهياً* في جيش السلطان مراد الرابع(١٦٢٣-١٦٤٠م) ، ترعرع في مدارس السراي ظهرت عليه من الصغر مظاهر الحكمة والشجاعة والذكاء ، فأُعجب به الصدر الأعظم مصطفى باشا(١٦٩٥-١٧٠٣م) ضمه للقوات المرافقة له وأدخله في حملته لفيينا عام ١٦٨٣م ، وبرز في المعركة التي دارت بالقرب من أسوارها عندما واجه الجيش العثماني كارثة المعركة[١].

خلال عهد السطان سليمان الثاني (١٦٨٧-١٦٩١ م) عُين في منصب جيفرجي باشي ** لمدة ست سنوات ، ثم تولى منصب إمارة العلم لمدة سنة كاملة، وعندما تولى السلطان مصطفى الثانى (١٦٩٥ – ١٧٠٣م) العرش عهد له بمنصب قبوجلير باشي *** لمدة ثلاث سنوات، بعدها تولى إدارة قونية عام ١٦٩٧م برتبة وزير وخلال مدة خدمته فى هذا المنصب عُين قائداً للقوات المسؤولة لقمع التمردات المناوءة للحكومة العثمانية فى البوسنة ، ثم عُين والياً على حلب حيث شارك فى العمليات الحربية فى العراق لمساعدة حاكمها عام ١٦٩٨م ضد الأكراد البابانيين فى الشمال والعشائر العربية فى الوسط والجنوب [٢] ، وبعد سنتين من الخدمة فى حلب نُقل إلى ولاية الرها فى بداية ١٧٠٢م ونُصب والياً على ديار بكر حيث تمكن من إخضاع قبائل الملية الكردية فى ديار بكر شمال العراق لسيطرته [٣] ثم كُلف بالإسراع لبغداد للإلتحاق بالحملة

---

* - السباهي جندي من الجيوش الخيالة النظامية في الجيش العثماني، عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون(١٥١٦– ١٩١٦م)، د .ن، دمشق،١٩٧٤م ، ص٣٢٥. .

١– سبار كوكب علي الجميل ، الحصار العثماني الثاني لفيينا عاصمة الهابسبورج النمساوية عام ١٦٣٨م ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، ع١٦، الكويت ، ١٩٨٤م ، ص ٧٠ .

** جيفرجي باشي ويعنى الجندى المتخصص بالأسلحة وعدتها أنظر عبد الواحد ذنون طه ، حسن باشا و نظام المماليك فى العراق ، مجلة المورد ،ع٣ ، بغداد ، ١٩٧٤م ، ص٤٥ .

*** قيوجلير باشى أى رئيس البوابين الذي كان مسئولاً عن أبواب البلاط السلطانى ومراقبي الداخلين والخارجين من الديوان ، انظر على شاكر ،تاريخ العراق في العهد العثماني، مكتبة ٣٠تموز،الموصل،١٩٨٥م ، ص١٠٢.

٢– أحمد راشد،تاريخ راشد،دن،دت،ص ص٣٠٢،٣٠٥.

٣– عبد الرحمن السويدي ، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء،ط١،القسم الأول،المجمع العلمي،بغداد،١٩٦٢م، ص٩.

العسكرية التى كان يقودها القائد العسكري المُكلف من الأستانة دالتيان باشا ضد سلمان الخزعلي ، رئيس عشيرة الخزاعل جنوب العراق[١] ، وفى ١٧٠٤م أصدرت الأستانة أوامرها بتعيينه والياً على بغداد (١٧٠٤- ١٧٢٤م) لكفاءته وحسن إدارته[٢].

استوعب حسن باشا المشاكل التى كانت تعصف بالعراق قبل مجيئه و كانت سبباً فى عدم إستقراره السياسى والإقتصادى والإجتماعى وإنعكس ذلك التدهور بشكل واضح على طبيعة الإدارة التي تمثلت في الولاة وقصر مدة حكمهم[٣] ، وقد تأكد لحسن باشا أن أحد أهم أسباب عدم الإستقرار فى الولاية هو الفساد الذى عم القوات الإنكشارية التى كان من المقرر لها أن تكون أحد المرتكزات المهمة التى يستند إليها الولاة فى حكمهم وعاملاً اساسياً فى إستقرار ودعم موقف الوالى لا أن تكون سبباً فى الفوضى وإرباك عمل الإدارة ، كما أصبحت الإنكشارية منذ القرن الثامن عشر قوة عسكرية ضعيفة بعيدة تماماً عن الهدف التى نشأت لأجله وبخاصة أن كبار القادة الإنكشاريين إبتعدوا عن ثكناتهم منشغلين بمهن مربحة أخرى لا علاقة لها بالحياة العسكرية ، وبدأوا في بيع علوفاتهم (أى مرتباتهم)إلى الراغبين من الأثرياء كما تُباع الأسهم والسندات ، ولا يجتمعون إلا لإثارة الفوضى ، أو المطالبة بعزل وزير وتنصيب أخر[٤] ، وينطبق ذلك على نظام التيمار** الذي كان مصدراً أساسياً لمد الدولة العثمانية بالقوات العسكرية عند الحاجة [٥] ، والذي تحول مع مطلع القرن الثامن عشر إلى أشبه ما يكون بالملكية الزراعية الصرفة غير المرتبطة بالدولة حيث أصبحوا من ملاكي الأراضي وتركوا العمل بالجيش العثماني [٦] ، وأدرك حسن باشا أن عليه التغلب على تلك العقبات إذا كان يرغب في أن يكون حاكماً قوياً للعراق.

هكذا قرر حسن باشا المواجهة ،فبعد فترة قصيرة من مجيئه للحكم عمل على إستبدال الإنكشارية بقوة عسكرية جديدة تُؤمر بأوامره وتدين له وحده بالولاء وليس لها أى إرتباطات أسرية مع سكان الولاية وقد إستفاد حسن باشا من تجربته السابقة فى قصور الأستانة عند إقرار النظام الجديد فى بغداد ، فقد كان على إطلاع بطرق إعداد مماليك السلطان وتدريباتهم العسكرية، والإدارية إستعداداً لتوليهم المناصب المهمة فى الدولة[٧]، حيث قام حسن باشا بشراء

---

[١]– مرتضى نظمي زادة ، كلشن خلفا،المجمع العلمي العراقي،النجف،١٩٧١م، ص٣١٥ .

[٢]– عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربى (١٥١٦ – ١٩٢٢م) ، د.ن ، الإسكندرية ، ١٩٨٤م ، ص١٩٣.

[٣] -عماد البزاز، العراق في عهد حسن باشا وأحمد باشا ١٧٠٤-١٧٤٧م،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الأداب جامعة البصرة،٢٠٠٠م،،ص٢٩.

[٤]– ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية،دن،القاهرة،١٩٥٧م ، ص ص٤٧،٤٨.

** نظام التيمار هو منح أراضي نظير خدمة حربية يلزم صاحبها أن يذهب إلى الحرب ويقدم عدد من الجنود أثناء الحرب انظر دني، مادة تيمار ،ج١ ، دار المعارف الاسلامية،دم،دت، ص٣٢١.

[٥]– هاملتون جب ويوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ج١، د.ن ، القاهرة ، ١٩٧١م،ص .ص ٢٦٦–٢٦٨.

[٦]– طارق نافع الحمدانى ، بعض جوانب الحياة الإجتماعية في بغدادخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ،جامعة بغداد ،بغداد،١٩٨٩م ص ص١٠٥،١٠٦.

[٧]– عمار البزاز ، مرجع سابق ، ص٣٠.

المماليك من أسواق تفليس(عاصمة جورجيا الحالية) الزاخرة بالرقيق، وكان هؤلاء يُجلبون أطفالاً فيودعون فى مدارس خاصة بهم ليتعلموا القراءة والكتابة والسباحة والفروسية وفنون القتال ، وقد كانت هذه المدارس تضم أيضاً البعض من أبناء الأسر العراقية والعثمانية، إلا أن عدد هؤلاء كان قليلاً بالنسبة لعدد المماليك وبعد أن يتخرج هؤلاء من المدارس يدخلون فى سلك الجيش والوظائف الحكومية ،وقد تم تأسيس دائرة خاصة فى بغداد تعرف بإسم (ايج دائرة سي) أى الدائرة الداخلية مهمتها الإشراف على شراء المماليك وتدريبهم وقد تكاثروا بالتدريج وكانت أقلية منهم يُولد في بغداد [١].

يبدو أن حسن باشا لم يكن يعمل على جعل هؤلاء الأرقاء طبقة حاكمة فى البلاد تنفرد بشئون السياسة والإدارة وحدها ، وتعلو على النظام الإجتماعى السائد كما حدث فى مصر والدولة العثمانية نفسها ، وإنما كان الهدف بالدرجة الأولى إيجاد عناصر عسكرية مثقفة يمكن الإعتماد عليها في أمور الحرب والسلم دون أن تُشكل هذه العناصر إحتكار للحكم نفسه ولإدراكه لمغبة ذلك الإحتمال وما ينجم عنه من نواح سلبية إتخذ خطوة جديدة هامة ألا وهى فتح مدارس المماليك أمام عدد من أبناء الأُسر الكبيرة من أهل البلاد ليدخلوا فيها إبنائهم وليتلقوا فيها من التربية العسكرية والتدريب على شئون الإدارة ، وما يؤهل لتولي المناصب المهمة ،وبهذا أدخل الوالى حسن باشا لأول مرة تجربة جديدة لم يلتفت الى أهميتها أي حاكم سابق اعتمدت على محاولة إشتراك العناصر العليا من أهل البلاد في إدارة الحكم .

استمرت مدارس المماليك مفتوحة لإستيعاب أعداد جديدة منهم طيلة مدة حكم حسن باشا ولم تذكر المصادر التاريخية أية معلومات بشأن عدد الذين تخرجوا من تلك المدارس، وعن وضعهم الإجتماعي وعن توليهم المناصب[٢]، لكن كان بإمكان أي شاب من المماليك بعد تخرجه أن يصبح بعد ترقيته من صنف لأخر، ومن درجة إلى أخرى شخصية من شخصيات السراي، إضافة إلى ذلك فإن إستخدام المماليك لم ينحصر بحسن باشا وحده ، بل أخذ بعض كبار الموظفين فى السراي يشترون المماليك ويبدو أنهم كانوا يستغلونهم لأغراض الخدمة فى المنازل[٣] ورغم طول مدة حكم حسن باشا فإن المماليك قد ظلوا في حدود وضعهم الذى خُطط لهم، ورغم أنهم صاروا الأكثر قوة وفاعلية فى حكومة ولاية بغداد وتوابعها وجيشها ، فلم يكن لأحد منهم موارد خاصة بإستثناء ما كانوا يتسلمونه من رواتب من خزانة الولاية [٤] .

هكذا ظل المماليك رغم أهميتهم على ولائهم لسيدهم وهذا ما كشفته حروبه الناجحة في فارس وإستيلائه على مدنها،وخوضه لأكثر من معركة في ظروف قاسية وفي أماكن بعيدة عن بلاده [٥]، وعندما تسلم حكم ولاية بغداد كان أمام أمرين هما إما ان يحكم كما حكم أسلافه الباشوات و

---

[١]- ستيفن همسلي لونكريك ، أربع قرون من تاريخ العراق الحديث ،ترجمة جعفر الخياط،ط٦،مكتبة اليقظة العربية،بغداد،١٩٦٨م،ص ص ١٩٧،١٩٨ .

[٢]- عماد عبد السلام رؤوف ، الحياة الإجتماعية في العراق في عهد المماليك١٧٤٩-١٨٣١م،رسالة دكتوراه غير منشورة،جامعة القاهرة،١٩٧٦م، ص٩٤.

[٣]- ستيفن لونكريك ، مرجع سابق ،ص١٩٨.

[٤]- عماد عبد السلام رؤوف ، مرجع سابق ، ص ٩٦.

[٥]- مرتضى زادة ، مرجع سابق ، ص ٣٣٠.

يترك الأمور تجرى فى طريقها العادي راضياً من السلطة إسمها فقط او يستخدم قوة عسكرية خاصه تؤمر بأوامره . [١]

إختار حسن باشا الأمر الثانى، وهو إستخدام القوة العسكرية وسيلة لإقرار الأمن و النظام فى ولايته ، إذ كان من الصعب عليه أن يعتمد على القوى المحلية بسبب تحكم العصبية القبلية بينها، كما أصبح الإنكشارية أشبه ماتكون بطبقة مدنية تكره الرقابة النظامية والتدريب العسكرى الصارم مما أدى إلى استخدم المماليك كعنصر جديد غير متأثر بمفاسد الإنكشارية [٢].

انتهج حسن باشا سياسة داخلية اختلفت تماماً عن سابقيه في كافة المجالات في مقدمتها الناحية الدينية،حيث اهتم بمراقد الأئمة والصالحين ، والتوسع في تأسيس الجوامع ومنح الأراضى للأغراض الدينية [٣] ،و قام بإعمار جامع السراى في بغداد الذي أصبح يعرف بإسم جامع حسن باشا ،كما أمر بتجديد سقف مرقد الإمام الكاظم في بغداد بعد أن أوشك على الإنهيار ، كذلك جدد الصندوق العاجى على ضريح سيدنا على في محافظة النجف، ولم يقتصر الأمر على الجوامع والأسوار وإنما تعداها إلى إصلاح الخانات فى بغداد لخدمة الزوار والمسافرين وشيد خانات جديدة عند ملتقى طرق القوافل التجارية خارج بغداد ، لتكون محطات إستراحة لها وأبرزها الخان الذى أقامه بين النجف و كربلاء فى الحلة لراحة التجار والمسافرين وخصص لها عدداً من الحراس لتوفير الأمن ، وأمر بفتح فرع جديد لنهر الحسينية فى كربلاء المعروف باسم نهر السليمانى[٤] .

كما أجرى ترميماً على جسر التون كوبرى وعين للمحافظة عليه حاكماً يسمى بأمير الجسر ، وشيد حوله عدداً من المساكن [٥] ، ثم جدد قناطر الأنهار الواقعة بين الموصل و كركوك من ماله ماله الخاص، [٦] بالإضافة إلى تأسيس دار البعثة التبشيرية الكرملية فى بغداد عام ١٧٢١م.[٧]

وفيما يخص الجانب الإقتصادى فقد عمل حسن باشا على إلغاء ضريبة الباج بمعنى المحتسب أو رسم الاحتساب و هو ماكان يستوفيه الجباة غير الرسميين من المارة بدفع بعض النقود رسوماً للمرور ، ومن لا يستطع الدفع يُؤخذ منه شيئاً مما يحمله ، ولا يستثنى من ذلك الفقراء، وإلغاء ضريبة التمغة*والتى كانت تستوفى على القوافل التى ترد حاملة الأخشاب و المحاصيل الزراعية

١- علي شاكر، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

٢- علاء موسى كاظم نورس ، العراق في العهد العثماني، دراسة العلاقات السياسية١٧٠٠-١٨٠٠م، دار الرشيد،بغداد،١٩٧٩مص ٢٥ .

٣- على شاكر ، مرجع سابق ، ص١٠٦ .

٤- عباس العزاوى ،تاريخ العراق بين إحتلالين، ج٥، دن، بغداد ،١٩٥٢م ، ص٢١٠ .

٥- مرتضى زادة ، مرجع سابق ، ص ٣٣٠ .

٦- عباس العزاوي ،مرجع سابق، ج٥ ، ص ٢١٠ .

٧- على شاكر ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

* التمغة سُميت بهذا الإسم فى زمن المغول وذلك جراء التمغة التى كانت تُفرض على ما يُؤخذ عند الختم كما أن الختم الذى يوضع عليها يقال (تمغا) أنظر عباس العزاوى ، تاريخ الضرائب العراقية،شركة التجارة والطباغة المحدودة،بغداد،١٩٥٨م ، ص ٤٨ .

،كما منع الرسوم التى كانت تُؤخذ من الذين يمرون عبرممر جبل حمرين إلى الشمال من بغداد ،ولم يكتف بذلك وإنما صادر المبالغ التى أُستوفيت قبل مجيئه و تقييدها ضمن واردات الخزينة [١].

أشاد معظم الرحالة الذين مروا بالعراق حينذاك بمجهود الوالى فى مختلف المجالات فكتب الرحالة الشهير نيبور (أُنه بإمكان التجار السفر و الذهاب إلى أى مكان و هو مطمئن البال على تجارته دون الحاجة إلى أى حراسة)[٢].

أما سياسته تجاه العشائر العراقية فاختلفت عما كانت عليه ، فالولاة العثمانيين الذين سبقوا حسن باشا فى حكم ولاية بغداد وقفوا عاجزين أمام الهجمات العشائرية على القوافل التجارية وعلى المؤن ، ولم يتبعوا أية سياسة إيجابية تهدف إلى توطين العشائر ، وإعمار الأراضى ، وإنما إتبعوا سياسة تقليدية فى توجيه حملات عسكرية على العشائر الثائرة و التى كانت تعود خاسرة مقهورة فى أكثر الأحيان ، إلا إن الأمر إختلف مع حسن باشا الذى أدرك أن أمن و إستقرار العراق يتوقف على حل المشكلة العشائرية و التخفيف من حدتها ، ولم يجد إسلوباً أنجح من إستخدام القوة لكبح جماح العشائر الثائرة [٣].

قرر حسن باشا البدء بالعشائر القريبة من مركز حكمه فهاجم في ١٧٠٥م عشائر الـ غرير وشهوان المستوطنة فى جنوب الموصل والذين إعتادوا التعرض للمسافرين و القوافل المارة بين بغداد والموصل ، وسلب البضائع المارة فى دجلة من الموصل إلى بغداد [٤] ،وبعد غارة خاطفة على مساكنهم فى الخانوقة * قضى على قوتهم وقد غرق الكثير منهم فى نهر دجلة عند فرارهم من قوات الوالى ، كما أسر عدد كبير منهم بما فيهم النساء و الأطفال وبذلك أخضعهم لسلطته وعين عليهم شيخاً جديداً وبذلك عادت المركزية للولاية وكان ذلك إنذار للعشائر الأخرى التي تخضع لسلطته، وإتضح ذلك أكثر من خلال المنشور الذى عممه على أبناء العشائر وذكر فيه(وإن عزمتم ،وكان دافع حسن باشا من تلك الحملة أن تكون إنذاراً للعشائر الباقية بجدية إجرءاته على القتال فإفعلوا إن حصد رؤسكم ليس علينا بأمر جديد) [٥].

استغل الوالي حالة الحماس إلتى عاشتها قواته أثر غاراتها تلك فاتجه إلى عشائر بنى لام القوية ، وقُدرت قوته العسكرية حينذاك بثلاثة آلاف من حملة البنادق و أكثرمن ثلاثين ألف فارس وراجل [٦] ،وقد شكل هذا العدد الضخم من المقاتلين خطراً حقيقياً طالما هدد بنهب القوافل القوافل التجارية القادمة من فارس عبر العراق وقد توسع هؤلاء على حساب عدد من العشائر

---

[١]– مرتضى زادة ، مرجع سابق ،ص ٣٣١ .

[٢]– كارستون نيبور، رحلة نيبور في القرن الثامن عشر،ترجمة سعاد هادي العامري،مطبعة دار المعرفة،بغداد،١٩٥٤م ، ص ١٥٨ .

[٣]– على شاكر ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

[٤]– عماد رؤوف ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠.

* الخانوقة قلعة خربة قريبة من نهر دجله بين بغداد و الموصل أنظر ياسين العمرى ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ،دن،بغداد،١٩٦٨م ص ١٧٧ .

[٥] – عمار البزاز ، مرجع سابق ،ص٣٤ .

[٦]– عماد روؤف، مرجع سابق، ص ،ص ١٩١–١٩٣.

فى المناطق الشمالية القريبة نسبياً من بغداد [١] ، فكان تحجيم قوتهم وإخضاعهم هدفاً مركزياً للوالى حسن باشا ونظراً لقوة إستعداداته العسكرية التي أجبرت عشائر بنى لام على الإحتماء بجبل بشتكوة عند الحدود الفارسية، فتعقبهم إلى موقعم الجديد مستغلا تفوقه المدفعى فقتل عدداً كبيراً منهم [٢] ، وإستمر فى مطاردتهم رغم عبورهم الحدود الفارسية حيث وقعوا فريسة سهلة لمدفعيته و لقبائل اللور* الفارسية التى إستغلت الفرصة و قتلت معظم الفارين من بنى لام إنتقاماً لعداوات سابقة بينهم[٣] ، وبالقضاء على قوة بنى لام فرض والي بغداد سلطته على الحدود شرقى دجلة [٤].

وفي عام ١٧٠٥م جهز حملة عسكرية كبيرة على الشيخ سلمان العباس رئيس عشيرة الخزاعل الذى كان قد إتخذ من الحسكة التي تقع في محافظة الديوانية التي تبعد مسافة ٢٠٠كم عن بغداد مقراً له ، و بدأ يهاجم القوافل التجارية ،و قد لجأ الشيخ سلمان إلى البصرة بمجرد سماعه بتوجه حسن باشا نحوه، وفي عام ١٧٠٧ م جهز حملة أيضاً على عشائر الزبيد فى غرب دجلة حيث قتل عدد كبير منهم ،مستعيناً في ذلك بضربهم ببعض العشائر المناوئة للزبيد مثل العبيد و بعض العشائر الكردية [٥].

كما وجه حملة كبيرة على الشيخ مغامس شيخ المنتفق الذى كان قد هدد البصرة و واليها خليل باشا [٦] وأخذ يهاجم القوافل التجارية و يفرض الضرائب ،و قد عانت البصرة كثيراً من عشائرالمنتفق حتى أصبحت خزينتها عاجزة عن دفع رواتب الموظفين فتوجه حسن باشا على رأس جيش كبير نحو البصرة و عند وصوله القرنة فر مغامس المانع إلى الحويزة، و حينئذ أنعم الباب العالى على حسن باشا بحكم البصرة كمتسلمية تابعة لولاية بغداد عام ١٧٠٧م [٧] .

وبعد ان إستكمل الوالي الترتيبات فى مناطق الخزاعل وإطمأن لعودة الهدوء إلى الفرات الأوسط بدأ في مراقبة التطورات فى الصحراء الغربية حتى تحين الفرصة المناسبة للإنقضاض على أبرز عشائرها حينذاك خاصة وأن التطورات العشائرية فى البادية فى تلك الحقبة كانت سريعة فالمناوشات العشائرية المتكررة بين عنزة وشمر فى البادية الغربية حول السيطرة على مناطق الرعى دفعت الأخيرة للجوء للأراضى العراقية القريبة من الحدود مع سوريا حيث المراعى الخصبة بزعامة الشيخ غانم الحسان [٨]و سيطرته على تلك المناطق باتت تهدد التجار

---

[١]– عبد الرحمن السويدى، حديقة الزوراء ،ص٢٧.

[٢] – عمار البزاز، مرجع سابق ، ص٢٥.

* اللور أحد سكان أقاليم فارس المجاورة للعراق و المتصلة بمنطقة الأهواز على الخليج العربى و تنتمى قبائل اللور إلى عرق كردى فارسى و تُعرف اليوم بالفيلية أنظر عماد روؤف ،امرجع سابق ، ص ٢٥٢.

[٣]– مرتضى زادة ،مرجع سابق ،ص ص ٣١٩، ٣٢٠.

[٤] – أحمد على الصوفى،المماليك فى العراق،دار الحكمة، الموصل، ١٩٥٥م، ص٥٥.

[٥]– عباس العزاوى،مرجع سابق ،ج ٥ ،ص ١٧٥.

٢– أحمد راشد ، مرجع سابق ،ص ٤٨.

[٧]– على شاكر مرجع سابق ،ص ١٠٩.

[٨]– على الوردى،لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،ج ١، ط ١،مطبعة الإرشاد ،بغداد ،١٩٦٩م، ص ٩٦.

عبر الطريق الصحراوى (البصرة – حلب)، فضلاً عن تغلغلها فى أحيان عدة إلى عمق أراضى الولاية قريباً من مدن الفرات فى المنطقة الممتدة من الحدود فى كربلاء [١].

حينئذ قرر حسن باشا محاربة عشائر شمر وإخضاعهم للسلطة المركزية وتمكن نوفمبر ١٧٠٦م من هزيمتهم فى معركة قرب كربلاء [٢]، وتوضح الإجراءات التى أقدم عليها حسن باشا إثر إنتصاره رغبته فى فرض سلطته على عموم العراق ، إذ أجبر المتبقى من تلك العشائر الأخرى على النزوح عن مناطقهم والاستقرار بعيداً فى مناطق شرق دجلة و جنوب بغداد للإختلافات الجوهرية بينها و بين العشائر القاطنة هناك [٣].

لم تلبث عشائر زبيد بزعامة شيخها عبد القادر الزبيدي التي سيطرت على معظم تلك المناطق وفرضت سيطرتها عليها وبدأت بالتعرض للقوافل التجارية المارة عبر أراضيها فارضة عليها الأتاوات الباهظة فضلاً عن الغارات المتكررة التى كانت تقوم بها ضد المدن والقصبات القريبة من مناطق نفوذها غربى بغداد ولقوه هذه العشائر سعى حسن باشا للإستعانة بعشائر شمر و قشعم * مستغلاً عدائهم القديم لضربها ببعضها البعض، و قد نجح فى ذلك فأوقع بزبيد بمساعدة هذه العشائر هزيمة قرب المحاويل مطلع ١٧٠٧ م [٤].

إعتقد حسن باشا أثر حملاته المتعددة على عشائر الفرات الأوسط و البادية الغربية أن الأمور إستتبت له هناك فقد ظلت تلك الأنحاء هادئة بشكل عام طيلة سنوات حكمه التي قاربت على العشرين عاماً ولإستكمال مركزية حكمه كان عليه إخضاع عشائر المنتفق القوية في الجنوب ، بقهر أقوى التجمعات العشائرية في المنطقة الواقعة بين سوق الشيوخ و البصرة [٥] ، و قد كانوا يرعون مع عشائر بنى مالك فى منطقة سوق الشيوخ و القرنة و الديوانية و بنى سعيد فى الجزيرة و أطراف الفرات و الأجود فى السماوة و العمارة وكون هؤلاء إتحاداً عشائرياً قوياً خرج علناً على السلطة العثمانية[٦].

لم تكن جميع حملات حسن باشا على العشائر العربية ، و إنما قاد بعض الحملات على العشائرالكردية أيضاً، ففي ١٧١١م جهز حملة على عشائر البلباس شرقى أربيل وإنتصر عليهم كما جهز في ١٧١٥ م أكبر حملة على القبائل اليزيدية**فى منطقه سنجار شمال العراق، بالرغم

---

[١]– عباس العزاوى، عشائر العراق ،ص ٢٠٧.

[٢]– مرتضى زادة ،مرجع سابق ،ص ٣٢٢.

[٣]– عثمان بن بشير ، المجتمع العراقي فى التاريخ ، ج ١ ، د.ن ،القاهرة ،١٩٧٣م، ص ١٤٦.

* قشعم إتحاد تألف من القسم الأدنى من حوض الفرات وأشهر شيوخة ناصر أل مهنا وكانت كربلاء مركز ديرته،أنظر نمير طه حسين،بدايات التحديث في العراق،رسالة ماجستيرغير منشورة،معهد الدراسات القومية الأشتراكية ،جامعة المستنصرية،بغداد،١٩٨٤م،ص٢٧.

[٤]– مرتضى زاده، مرجع سابق ، ص ٣٢٢ .

[٥]– عبد الرزاق الحسنى ، العراق قديماًوحديثاً ،د.ن،د.م،١٩٥٨م، ص ٩٣ .

[٦]– على شاكر ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

** اليزيدية تجمع عشائري مختلط لاتزال المعلومات عن معتقداتهم الدينية غامضة و الأراء حول صلة عقيدتهم بالزرادشتية و المسيحية متضاربة و هي من المجموعات الإنطوائية أنظر إسماعيل جول ، اليزيدية قديماًو حديثاً ، مطبعة بيروت ، بيروت ، ١٩٣٤ م، ص ص ١١،١٢ .

من ضخامة الحملة التي ضمت قوات من شهرزور وبعض البيكات الأكراد إستخدم المدفعية، وقاوم اليزيديون حسن باشا أكثر من ثلاث ساعات بتجهيز المتاريس وإقامة الطوابى الدفاعية ، وسرعان ما أوقع حسن باشا بهم هزيمة في الخاتونية بالقرب من سنجار وعين محمد الذياب أحد شيوخ العشائر الموالين للأستانة حاكماً على سنجار لتصبح تابعة لولاية بغداد [١] .

هكذا استتبت الأوضاع في الشمال للوالى حسن باشا أثر إنتصاره على اليزيديين، و لم تكن هناك سوى قبائل صغيرة لم تشكل خطورة حقيقية على السلطة، و أبرزت تلك القبائل الفوضى التى أثارتها عشائر الجاف الكردية التي كانت تقطن إقليم كرمنشاه الفارسي،وتعتمد على الرعى، لذا فإنها طالما إجتازت الحدود العراقية نحو المراعى الخصبة، توغلت في عام ١٧١٧م في العمق الفارسي وهاجمت مدينة باجلان الواقعة إلي الشرق من خانقين و قتلت أميرها عثمان مع عدد من أتباعه، وسلبوا الكثير من غلالها الزراعية ، مما أجبر الوالي حسن باشا على التحرك لإيقاف خطرهم [٢]، وحال سماع عشائر الجاف بإستعدادات الوالي العسكرية لجأت إلي الجبال المنيعة في فارس، فاضطر حسن باشا لمخاطبة الشاه حسن الصفوى في ١٧٢٢م للتدخل لوضع حد لتجاوزات هذه العشائر على الحدود العراقية فوافق الشاه على إعادة الهدوء لتلك المناطق [٣].

هكذا نجح حسن باشا في مواجهة التمردات العشائرية في الجنوب والشمال ،الأمر الذي أتاح له الفرصة لإحداث تغييرات مهمة في التنظيم الإدارى لولاية بغداد بإدماج البصرة بعد جعلها متسلمية بولاية بغداد، وربط إدارة سنجار وماردين به مباشرة [٤]، وقد إختلف التنظيم العشائري الكردي كثيراً عن العشائر العربية وقد لعبت الضرورات دوراً في إختيار الشيخ الكردى لترأس عشيرته فقد كان يُفضل أن يكون من أصحاب الثروة والقوة،وشيخ القبيلة أب للجميع و يملك في معظم الأحيان حرية التصرف بمفردات عشيرته [٥]، مثلما أدى قوة الترابط بين أفراد العشيرة و الطبيعة الجغرافية لخروج العشائر العراقية العربية ضد السلطة العثمانية فإن العشائر الكردية استغلت طبيعة مناطق إقامتها الجبلية الوعرة في الخروج على السلطة العثمانية أيضاً[٦].

لم تكن تلك الإنتصارات وحدها هى التى وطدت علاقة حسن باشا مع الأستانة حيث قام بإرسال الواردات بإنتظام دون تأخر [٧]، فضلاً عن الهدايا والهبات فى المناسبات المختلفة، فعلى

---

1 – على شاكر ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

2 – ياسين العمرى ، قرة العينين في تراجم الحسن و الحسين ، دار صدام ، بغداد ، ١٩٨٩م ، ص٢٠ .

٣– عمار البزاز ، مرجع سابق ، ص٤٥ .

4 – زبير بلال إسماعيل ، أربيل في أدوارها التاريخية ، د.ن ، النجف ،١٩٧٦م ، ص ص ٨٢٦ ، ٨٢٧ .

٥– باسل نيكتين ، الأكراد ، ترجمة طائفة من الكتاب ، دن، بيروت ، ١٩٥٨م ، ص ١١٨ .

6 – عبد ربه سكران الوائلى ، تاريخ الامارة البابانية الكردية١٧٨٢–١٨٥١م،كلية الأداب ،جامعة القاهرة،١٩٧٩م ص ص ٣٥، ٣٦ .

٧– ذنون طه ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

فعلى سبيل المثال أهدى الوالى عقداً ذهبياً ثميناً الى السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣– ١٧٣٠م) كان بالأساس من مقتنيات أحد اليهود فى الحلة [١] .

أظهر حسن باشا أيضاً إحترامه وتقديره لموظفى الباب العالى عند قدومهم إلى بغداد حيث كانوا يعاملون معاملة خاصة تتضمن المبيت ليلة فى الأعظمية في بغداد ثم التوجه بموكب فخم إلى المدينة فى اليوم التالى والنزول فى دار الضيافة [٢]، وقد ترك حُسن الإستقبال إنطباعاً حسناً لدى موظفى الدولة كما أظهر أهمية والى بغداد لدى الجمهور البغدادى الذى كان يقع تحت تأثير هذه المراسيم فيزداد حبه للوالى ،علاوة على ذكر اسم الوالى فى صلاة الجمعة والدعاء له[٣] .

إلا ان ذلك لا يعنى ان حسن باشا قد وطد حكمه تماماً حيث وُجدت أخطار خارجية هددت الأستانة عامة والعراق خاصة تمثلت في الغزو الافغانى لفارس فى ١٧٠٩م حتى وصولهم أصفهان في١٧٢٢م ،وأكدت أوامر الأستانة عليه البقاء على أهبة الإستعداد تلافياً لهجوم محتمل من الأفغان إنطلاقاً من فارس فاتخذ عدة إجراءات منها تنظيف الخندق المائى المحيط ببغداد ورمم سورها ، ولمعرفة حقيقة ما كان يجرى فى فارس ونوايا الفاتحين الجدد أوفد سفيره عثمان أغا إلى حاكم أصفهان لتهنئة مير محمود بإنتصاره العظيم [٤].

ورداً على هذه الزيارة بعث مير محمود سفيره الخاص محمد صادق خان إلى بغداد حاملاً ردوداً حول الأسئلة التى أثارها المبعوث العثمانى منها أنه رأى من واجبه الدينى وحميته الإسلامية أن يطهر البلاد من الكفرة الذين عاثوا فى الأرض فساداً ، وأنه على الشريعة الاسلامية السمحاء، وليست له أطماع وأغراض أخرى وأنه من الموالين للدولة العثمانية ويستمد منها العون لشد أزره فى سبيل المحافظة على شعائر الدين الإسلامى ، وإزالة الكفر والفسوق بين المسلمين ، كما طلب منه المساعدة لإستكمال إستيلائه على كل فارس مقابل التحالف مع الدولة العثمانية[٥] وكان ذلك حافزاً لحسن باشا بأن يبعث إلى الأستانة يحفزها على إنتهاز فرصة فرصة الفوضى التى تعم فارس بسبب الإحتلال الأفغانى والتحرك بسرعه للإستيلاء على مناطق شمال فارس ، وبعد إصدار فتوى من شيخ الإسلام فى الأستانة بدعوى الجهاد لإنقاذ فارس من الفوضى بدأ هجوم القوات العثمانية في ١٧٢٣م مع عدم التعرض للأقاليم الخاضعة لسلطة مير محمود الأفغانى الذي أعلن ولائه للسلطان العثمانى [٦] .

كما صدرت الأوامر لحسن باشا بالإستعداد للمساهمة فى غزو فارس فجهز قواته المكونة من شهرزور والموصل والبصرة وبعض شيوخ الأكراد فضلاً عن القوات الإنكشارية

---

[١]– يوسف كركوش الحلى ، تاريخ الحلة ،القسم الأول ، د.ن ،النجف، ١٩٦٥م ، ص١٢٠ .

[٢]– سليمان فائق ، مرجع سابق ، ص ٥٤.

[٣]– ستيفن لونكريك ، مرجع سابق ، ص ١٥٥.

[٤]– على الوردى ،ج١، مرجع سابق ،ص٢٠١ .

[٥]– رسول حاوى الكركوكلى ،مرجع سابق ،ص١٦.

[٦]– عمار البزاز ، مرجع سابق ، ص٥٠.

[١] وباغت في بلاد فارس كرمنشاه واستولى عليها فى ١٦ أكتوبر١٩٢٣م ،وإثر إستسلام حاكمها عبدالباقى خان وتسليمه مفاتيح المدينة عامل حسن باشا السكان معاملة طيبة [٢]، ثم أمر خان باشا بابان بالزحف نحو إقليم أردولان شمال العراق وكان حاكمها على خان قد أعلن استعداده لقبول الحماية العثمانية ، إلا أنه إستُبدل بعباس قلى الذى قرر مقاومة العثمانيين وبعد عدة مناوشات قرر الإستسلام مع عدد من زعماء العشائر الموالين للجيش العثمانى فأصحبت أردولان من ممتلكات السلطان العثمانى، كما حققت القوات التى أُرسلت بزعامة والى شهرزور عبدالرحمن باشا لمقاتلة حاكم لورستان أمير عشائر اللور، النصرعلى مردان خان وإستولت على منطقة حزام أبات في فارس وألقت القبض عليه [٣] .

قضى حسن باشا الشتاء فى كرمنشاه إستعداداً لفتح همذان غير أن المنية وافته فى ١٧٢٤م [٤] قبل حلول فصل الربيع وكان لموته صدى أليم فى بغداد، وخلفه إبنه أحمد باشاالذي باشاالذي إستكمل سياسة والده سواء داخياً أو خارجياً [٥].

---

[١]– رسول الكركوكلى ، مرجع سابق ، ص١٧.

[٢]– ستيفن لونكريك ، مرجع سابق ، ص ص ١٦٢،١٦٣ .

[٣]– عمار البزاز،مرجع سابق ، ص٤٥ .

4-Ramazan , The Foreign Policy of Iran , A developing Naion in World Affairs 1500 – 1914 , Virginia , 1966 , P20.

[٥]– عبد الرحمن السويدى،مرجع سابق ، ص١١١ .

الملخص

بذل حسن باشا قصارى جهوده لتكوين قوة عسكرية كبيرة تدين له بالولاء لتحل محل الإنكشارية ألتي أصابها الفساد ،واستطاع تأسيس نظام المماليك الذي حقق له إنجازات متعددة، كما تميزت سياسته بالعديد من الاصلاحات التي حققها من النواحي الإدارية والاقتصادية والأمنية وفرض الأمن والنظام باخضاع العشائر العربية غرير وشهوان وبني لام ، الخزاعل ،المنتفق، شمر، وزبيد(الدليم-العبيد-الجبور) وقشعم ، والعشائر الكردية البلباس، اليزيدية، الجاف، البابانية وقد ساعده في ذلك القوة العسكرية الجديدة التي أوجدها والمتمثلة في المماليك، ولجوئه لإستراتيجية ضرب العشائر بعضها ببعض كما استعان بحكام فارس لمواجهة تمردات العشائر على الحدود، وقد أدت إنتصاراته وإنجازاته وانتظامه في أداء التزاماته تجاه الأستانة وإظهار الاحترام للسلطان وللباب العالي وموظفيه ، والفوضى التي ضربت أطنابها في فارس في أعقاب الغزو الأفغاني لها واستثمار السلطان لتلك الظروف بغزو شمال فارس بتكليف حسن باشا بتلك المهمة فضم كرمنشاه وأردولان ولورستان وتوفى على أبواب همذان لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ العراق.

Conclusion

Hassan Pasha exerted his best efforts to form a large military force that owes him allegiance to replace the corrupt Ansarism. He succeeded in establishing the Mamluk system, which achieved many achievements. His policies were characterized by reforms of administrative, economic and security aspects, and the imposition of security and order by subjugating the Arab tribes Ghirir, Lamm, Khaza'al, Muntafiq, Shamar, Zubaid (Dulaim-slaves-Jabour) and Kadhim, and the Kurdish tribes of Belbas, Yazidis, Jaf, Babaniyah,Were helped by the new military power created by the Mamluks. Some of them also used the rulers of Persia to confront tribal rebellions on the border. His victories, achievements and regularity led him to fulfill his obligations to Astana and to show respect for the Sultan and the High Ba'ab and his staff, and the chaos that struck its branches in Persia in the wake of the Afghan invasion and the Sultan's exploitation of those circumstances. Kermanshah, Erdoğan and Luristan were killed and died at the gates of Hamadan to begin a new phase in the history of Iraq.

قائمة المراجع

الرسائل العلمية غير المنشورة

١. عماد عبدالسلام رؤوف ، الحياه الاجتماعية في العراق في عهد المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م.
٢. نمير طه حسين، بدايات التحديث في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات القومية الاشتراكية ،جامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٤م.

المراجع العربية والمعربة

١. أحمد راشد، تاريخ راشد،دن ،دت.
٢. أحمد على الصوفى،المماليك فى العراق،دار الحكمة، الموصل، ١٩٥٥م.
٣. باسل نيكتين ، الأكراد ، ترجمة طائفة من الكتاب ، دن، بيروت ، ١٩٥٨م.
٤. ياسين العمرى، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ،دن، بغداد، ١٩٦٨م .
٥. زبير بلال إسماعيل، أربيل في أدوارها التاريخية، د.ن ، النجف ،١٩٧٦م.
٦. ساطع ألحصرى ، البلاد العربية والدولة العثمانية، د .ن، القاهرة ، ١٩٥٧م.
٧. ستيفن همسلي لونكريك ، أربع قرون من تاريخ العراق الحديث ،ترجمة جعفر الخياط، ط٦، مكتبة اليقظة العربية، بغداد،١٩٦٨م.
٨. طارق نافع الحمدانى ، بعض جوانب الحياة الإجتماعية في بغداد خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ،جامعة بغداد ،بغداد،١٩٨٩م.
٩. عباس العزاوي ،تاريخ العراق بين احتلالين، ج٥، دن، بغداد ،١٩٥٢م .
١٠. علاء نورس، العراق في العهد العثماني، دراسة العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠م ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩م .
١١. عبد الرزاق الحسنى ، العراق قديماً وحديثاً ،د.ن،د.م،١٩٥٨م.
١٢. عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون(١٥١٦- ١٩١٦م)، د .ن، دمشق،١٩٧٤م .
١٣. عثمان بن بشير ، المجتمع العراقي فى التاريخ ، ج ١ ، د.ن ،القاهرة ،١٩٧٣م.
١٤. على الوردى، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،ج ١، ط ١،مطبعة الإرشاد ،بغداد ،١٩٦٩م.
١٥. عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربى (١٥١٦ – ١٩٢٢م) ، د.ن ، الإسكندرية ، ١٩٨٤م.
١٦. عبد الرحمن السويدي ، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء،ط١،القسم الأول المجمع العلمي،بغداد،١٩٦٢م .
١٧. عماد عبد السلام رؤوف ، الحياة الاجتماعية في العراق في عهد المماليك١٧٤٩-١٨٣١م،رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة القاهرة،١٩٧٦م .
١٨. على شاكر ،تاريخ العراق في العهد العثماني، مكتبة ٣٠تموز،الموصل،١٩٨٥م.
١٩. كارستون نيبور، رحلة نيبور في القرن الثامن عشر، ترجمة سعاد هادي العامري، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٤م .
٢٠. مرتضى نظمي زادة، كلشن خلفا، المجمع العلمي العراقي، النجف، ١٩٧١م.
٢١. دني، مادة تيمار ،ج١ ، دار المعارف الاسلامية،دم،دت.

٢٢. هاملتون جب ويوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ج١، د.ن ،لقاهرة ، ١٩٧١م.
٢٣. ياسين العمرى ، قرة العينين في تراجم الحسن و الحسين ، دار صدام ، بغداد ، ١٩٨٩م.
٢٤. إسماعيل جول ، اليزيدية قديماًو حديثاً ، مطبعة بيروت ، بيروت ، ١٩٣٤م.
٢٥. يوسف كركوش الحلى ، تاريخ الحلة ،القسم الأول، د.ن ،النجف، ١٩٦٥م.
٢٦. عباس العزاوي ،تاريخ العراق بين احتلالين، ج٥، دن، بغداد ،١٩٥٢م .

المراجع الانكليزية:

4-Ramazan , The Foreign Policy of Iran , A developing Naion in World Affairs 1500 – 1914 , Virginia , 1966.

المجلات :

١. مجلة المورد ،ع٣ ، بغداد ، ١٩٧٤م.
٢. سبار كوكب علي الجميل ، الحصار العثماني الثاني لفيينا عاصمة الهابسبورج النمساوية عام ١٦٣٨م ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، ع١٦، الكويت ، ١٩٨٤م.